فريق تفريغ المهندس
علاء حامد

تلخيص تدبر سورة مريم (1)

م.علاء حامد

ALAA HAMED

تلخيص المحاضرة الأولى
تدبر الآيات من (١-١١)

◆ أهمية معرفة جو السورة ؟

من المهم قبل البدء في تدبر أي سورة أن نتعرف على جوها العام ؛ فهذا يعين على فهم موضوعاتها ومقاصدها.

◆ الفرق بين القرآن المكي والقرآن المدني ؟

- **القرآن المكـي : هو كل ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.**
- **القرآن المدني : فهو كل ما نزل بعد الهجرة، حتى لو نزل في غير المدينة ؛ فالعبرة بزمن النزول لا بمكانه.**

◆ موضوعات القرآن المكي ؟

تدور السور المكية حول موضوعات تأسيسية؛ وبناء الإيمان لأنها نزلت في مرحلة بناء العقيدة وترسيخ الإيمان في القلوب.

◆ أبرز موضوعات القرآن المكي:

- **قضايا التوحيد.**
- **الرسالة .**
- **النبوة والبعث.**
- **الرد على شبهات المشركين.**
- **قصص الأنبياء.**
- **بيان الصراع بين الحق والباطل.**
- **القصص وضرب الأمثال ، وذكر العبر والمواعظ.**
- **الحديث عن الجنة والنار والدار الآخرة.**

- وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " كان أول ما نزل من القرآن ذكر الجنة والنار، ولو كان أول ما نزل : لا تزنوا ولا تشربوا الخمر، لقال الناس : لا ندع الخمر ولا ندع الزنا "

- فكان لابد من التربية الإيمانية اولًا ؛ لتقوية صلة العبد بالله، وتهيئة القلب لقبول الأوامر والنواهي والعمل بها.

- فالقرآن المكي يبني الإيمان ويزكي القلب ؛ حتى يكون الإنسان مستعدًا لتلقي الأوامر والنواهي والعمل بها.

◆ أبرز موضوعات القرآن المدني :

- الأوامر والنواهي.
- قضايا أهل الكتاب.
- الحديث عن اليهود والنصارى والمنافقين.
- إقامة المجتمع والدولة.
- الأحكام والحدود.

و يبقى الحديث عن التوحيد والبعث موجودًا فيه أيضًا.

◆ زمن نزول سورة مريم

- سورة مريم من أوائل ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم.

- وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: « ما من آية نزلت إلا وأنا أعلم فيم نزلت، ومتى نزلت، وأين نزلت ».

- وكان يقول: « لقد أخذت من فيِّ النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ».

- وقال عن مجموعة من السور:« سورة بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العِتاق الأُوَل » ؛ أي من أوائل ما نزل.

◆ موقف النجاشي من سورة مريم:

- عندما هاجر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الحبشة، طلب النجاشي أن يسمع شيئًا من القرآن، فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم .

- فبكى النجاشي وبكى أساقفته، وقال إن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به عيسى عليه السلام يخرج من مشكاة واحدة.

- وقد دلت الأحاديث الصحيحة على إسلام النجاشي ، ولذلك صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب.

◆ **من المقاصد العامة للسور المكية :**

- تأسيس العقيدة وترسيخ التوحيد.
- الرد على شبهات المشركين.
- بيان حال المؤمنين وحال المشركين.

◆ **مقاصد سورة مريم :**

- بيان رحمة الله تعالى وذلك من خلال رعايته لأنبيائه وعباده الصالحين.

ويتضح ذلك من بداية السورة : ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ كما وتظهر الرحمة في قصص الأنبياء عامةً .

- التذكير بالدار الآخرة

كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (مريم: ٣٩)

- الرد على المشركين

ويظهر ذلك في آخر السورة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٦٦)

- الحوار بين المسلمين والمشركين ؛ وذكر مصير كل منهما، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ (مريم: ٩٦)

الآية: ١ ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾

- حروف مقطعة بدأت بها سور كثيرة في القرآن ، مثل: الم، الر، طسم، حم، كهيعص، حم عسق وغيرها.

◆ **الحروف المقطعة في أوائل السور :**

- قد لا يكون لكل حرف منها معنى مستقل بذاته، والله أعلم بمراده بها، وقد اختلف العلماء في تفسيرها. لأن الحروف المقطعة من المسائل التي وقع فيها خلاف مشهور، ولا يوجد قول مجمع عليه، **ومن أهم مقاصدها :**

1. لفت وإثارة انتباه السامع ؛ لذلك جاءت في بداية السور، لأن البداية هي موطن جذب الانتباه، فكانت العرب إذا سمعوا: ﴿ حم ﴾ أو ﴿ الر ﴾ أو ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ استوقفهم الأمر وتساءلوا: ما هذا ؟ ولماذا تذكر الحروف بهذه الطريقة ؟ ثم يأتي بعد ذلك كلام الله سبحانه وتعالى.
2. إظهار التحدي وعجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن؛ فالله سبحانه وتعالى تحدى الكافرين فقال : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ ﴾ ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾

- **فكأن المعنى :** هذه هي الحروف التي تعرفونها وتستخدمونها منها تكوّن القرآن، فإن كان من كلام البشر فأتوا بمثله فلما عجزوا كان دليلًا على أنه كلام الله سبحانه وتعالى، وليس كلام البشر.

◆ **الحروف المقطعة ومقصدها :**

- قال الوليد بن المغيرة واصفًا القرآن الكريم لما سمع سورة فصلت : «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه».

- فكان أول ماسمعه قوله تعالى :

﴿ حمٓ (1) تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **(فصلت: ١-٢)**

- وسمع آياتها حتى بلغ قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ **(فصلت: ١٣)**

فانبهر بهذا القرآن، وكاد أن يُسلم لولا أن المشركين صدّوه.

- الحروف المقطعة عندما تأتي في القرآن غالبًا يأتي بعدها ذكر القرآن مباشرة :

- ففي سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ (1) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ **(الآيات: ١-٢)**
- وفي سورة غافر : ﴿ حمٓ (1) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ **(الآيات: ١-٢)**

- المقصود من الحروف المقطعة أن تلفت الانتباه إلى أن هذا القرآن كلام الله، وأنه كتاب مبين منزل من العزيز الحكيم.

الآية: 2 ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾

- أي : اذكر يا محمد هذه الرحمة التي رحم الله بها زكريا عليه السلام.

وهذا أول مظهر من مظاهر الرحمة، رحمة الله بزكريا عليه السلام.

- ذكر الله زكريا عليه السلام بصفة العبودية وليس بصفة النبوة أو الرسالة؛ لبيان أن أشرف مقام يصل إليه الإنسان هو عبوديته لله سبحانه وتعالى، ولهذا يصف الله أنبياءه بأعظم مقاماتهم بالعبودية.

- وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية في قوله تعالى :

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١)

◆ العبودية : التسليم لله سبحانه وتعالى، والانقياد لطاعته، وتحقيق التوحيد، والرضا بشرعه وأحكامه.

- ولا تكتمل عبودية العبد إلا بالتسليم لأمر الله، والرضا بحكمه، وعدم الاعتراض على شرعه أو وجود حرج في النفس من أحكامه فينقاد له بالتوحيد والطاعة، ويحبه، ويرضى بشرعه.

- ولا تتحقق العبودية إذا جعل الإنسان لله ندًّا، كمن يدعو غير الله، أو يسأل غيره، أو يصرف شيئًا من العبادة لغير الله.

◆ التأمل في اقتران الرحمة بالعبودية :

- فهذه الرحمة ليست خاصة بالأنبياء فقط؛ ولذلك وصف الله زكريا عليه السلام بالعبودية، فلو كان سبب الرحمة هو النبوة فقط لذُكر بها، لكنه نال هذه الرحمة لأنه عبد صالح.

- وفي هذا فتحٌ لباب الأمل في رحمة الله؛ فكلما اجتهد الإنسان في تحقيق العبودية لله نال من رحمته سبحانه.

- قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦)

الآية: 3 ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴾

- من أشرف مقامات العبودية الدعاء؛ لأنه يجمع معاني العبودية كلها، من الاعتراف لله تعالى بالكمال المطلق، والغنى المطلق، والسمع المحيط، والقدرة الشاملة، مع اعتراف العبد بعجزه، وفقره، وحاجته، ومسكنته.

﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾

- والنداء أبلغ من الدعاء؛ فهو دعاء يصاحبه استغاثة، ولهفة، واضطرار.

- وقد عبَّر الله عن دعاء عدد من الأنبياء بلفظ النداء، فقال:

- ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الانبياء: ٨٧)

وكذلك أنبياءُ الله : نوح، وأيوب، وزكريا عليهم السلام.

- ليكن لكل واحد منا قصة نداء، لا مجرد دعاء باهت يخرج من قلب غافل بل نداء صادق إلى الله، فيه استغاثة، ولهفة، ورجاء، وانكسار، وبكاء.

- ثم يبين الله سبحانه وتعالى إرشادًا عظيمًا إلى آداب الدعاء.

قال تعالى: ﴿ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾

- أي؛ بصوت خافت. فلم يرفع صوته بالدعاء؛ لأن هذا من الأدب مع الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى :

-الدعاء الخفي أقرب إلى الإخلاص، وأقرب إلى الأدب مع الله، وخاصة في السجود؛ حيث يخفض الإنسان صوته، ويُظهر افتقاره لله، ويدعوه بتضرع واستغاثة، فيتغير حال قلبه ويزداد قربًا من الله.

- لذلك لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم :

«اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا».

الآية: 4 ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾

﴿ رَبِّ ﴾

- من آداب الدعاء أن يبدأ العبد بالثناء على الله تعالى، بذكر ربوبيته، وأسمائه، وصفاته، قبل أن يطلب حاجته.

ولذلك لم يبدأ زكريا بطلب الولد، وإنما بدأ بقوله : ﴿ رَبِّ ﴾

- وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ دعاءه بالثناء على الله، فيقول :

«اللهم رب السماوات والأرض...».

- ويقول: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك...».

- ويقول: «يا حي يا قيوم».

- فقدِّم بين يدي دعائك الثناء على الله، والتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى .

ثم قال زكريا عليه السلام : ﴿ وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ ﴾

- ومن تمام التذلل وإظهار الفقر والمسكنة أنه بدأ بوصف حاله قبل أن يطلب.

- أي : بلغ به الضعف غايته، حتى أصاب العظم نفسه، والعظم هو أساس بنية الإنسان.

﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾

- صورة بليغة تدل على أن الشيب قد عمَّ الرأس كله، حتى كأنه اشتعل بياضًا.، وذكر ذلك إظهارًا للفقر، والحاجة، والمسكنة.

- من آداب الدعاء :

حضور القلب، الثناء على الله، وخفض الصوت، أن يُظهر العبد فقره، وضعفه، وحاجته.

وهذا هو منهج الأنبياء، ومنهج السلف الصالح .

﴿ وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴾

- فكأنه يقول : يا رب، رغم ضعفي وكِبَر سني، لم أشقَ يومًا بالدعاء، فقد كان دائمًا باب رجائي وسعادتي، وأنا أحسن الظن بك يا رب.

- وقد تعجب زكريا عليه السلام عند سماعه البشارة، ليس شكًّا في قدرة الله، بل لأن الأمر في ظاهره غير معتاد، لكنه كان يحمل يقينًا عظيمًا.

- اليقين من أعظم الآداب التي نتعلمها من زكريا عليه السلام؛ فليس كل من دعا الله ولم يرَ ما طلبه سريعًا يقول : لم يُستجب لي، فالدعاء في ذاته عبادة وقرب من الله، والمؤمن لا يخسر معه أبدًا.

- وقد قال النبي ﷺ :

" إن المسلم إذا دعا بدعوة، فإنها لا تخرج عن ثلاث حالات : إما أن يعجل الله له ما طلب،وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، وإما أن يدخرها له أجرًا يوم القيامة "

- قد تطلب أمرًا، فيصرف الله عنك بلاءً أعظم منه، فتظن أن دعاءك لم يُستجب، بينما الحقيقة أن الله أجابك بطريقة أخرى رحمةً بك.

- وقد يكون الخير لك أن يدخر الله أجر دعائك، فتجد من الأجر ما يجعلك تتمنى لو أن بعض ما دعوت به لم يتحقق في الدنيا مقابل ما أعدّه الله لك في الآخرة.

◆ لا يشقى العبد مع الدعاء أبدًا؛ لأن الدعاء عبادة، والعبد مأجور سواء عُجّلت له الإجابة، أو صُرف عنه البلاء، أو ادّخر له الأجر عند الله.

الآية: 5 ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾

- الموالي : قيل : هم الورثة، وقيل : العصبة أو الأقارب ومن يتولون الأمر بعده.

◆ ولم يكن زكريا عليه السلام يريد ولدًا حتى يرث ماله، فالمراد بالإرث هنا هو إرث الدعوة، والعلم، والعمل لدين الله، وقد كان سيد قومه والقائم بأمر الدعوة، وبنو إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، فلم يكن يرى حوله من هو أهلٌ لحمل أمانة الدعوة، فكان همه الأكبر هو الدين، وكان يخشى أن تضيع الدعوة بعد وفاته، وألا يجد من يقود الناس إلى الله.

- وقلب الداعية متعلق باستمرار الدعوة بعده من يحملها، وأن تصل إلى كل إنسان، فكان همه أن يربي من يحمل الرسالة بعده.

وكأن زكريا عليه السلام يقول : يا رب، ارزقني ولدًا أربيه على يدي، ليحمل هم الدعوة من بعدي.

- أي : خفت ألا يحملوا أمانة الدين والدعوة بعد وفاتي.

- ومن أعظم ما نتعلمه من زكريا عليه السلام حملُ همِّ الدين؛ فمع كِبَر سنه ووهن جسده، لم يرَ أنه أدى ما عليه، بل ظل يفكر فيمن يواصل الدعوة من بعده. وهكذا يعلّمنا أن المؤمن لا يتقاعد عن خدمة دين الله ما دام فيه نفس.

- أدلة أن المراد هو إرث الدين والعلم ، لا إرث المال :

قول النبي ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة».

فأموال الأنبياء لا تورث، بل تكون صدقة بعد وفاتهم.

- أن زكريا عليه السلام كان نجارًا، ولم يكن صاحب ثروة عظيمة حتى يقال إنه كان يطلب ولدًا من أجل المال.

- أن هذا الفهم لا يليق بمقام نبي من أنبياء الله؛ فكيف يُتصور أن يكون همه في هذا السن أن يمنع أقاربه من ميراث مال قليل ؟ وهذا بعيد عن مقام الأنبياء عليهم السلام.

- ومن أقوى الأدلة قوله تعالى : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

- وقد فصل بين يعقوب عليه السلام وزكريا عليه السلام مئات السنين.

- يتعلم الداعية أن يبني للدين لا لنفسه، فيربي من يحمل الدعوة بعده، ويجعل همَّه استمرارها ابتغاء وجه الله، لا الشهرة أو الظهور.

﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

- ما أعظم هذا الدعاء ! فقد دعا زكريا عليه السلام لابنه قبل أن يولد، وفي ذلك درس للآباء والأمهات بالإكثار من الدعاء لأبنائهم، والحذر من الدعاء عليهم عند الغضب؛ فدعوة صادقة قد تغيّر حياتهم.

- قال النبي ﷺ : « لا تَدْعُوا على أَنْفُسِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَوْلادِكُمْ، ولا تَدْعُوا على أَمْوالِكُمْ، لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ ساعَةً يُسْأَلُ فيها عَطاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ ».

وليكن اللسان معتادًا على الدعاء بالهداية والصلاح والبركة.

- قال زكريا عليه السلام: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (آل عمران: ٣٨)

فأكرمه الله، إذ رزقه يحيى عليه السلام.

- قوة الإجابة ترتبط بصدق الدعاء، وحسن الرجاء، وكمال التذلل بين يدي الله.

الآية: ٧ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾

معنى يحيى :

- قيل : سمي بهذا الاسم لأن الله أحيا به القلوب بالإيمان والهداية.
- وقيل : سمي يحيى؛ لأنه سيعيش حياة مباركة، رغم كبر سن والديه.
- وقيل : لأنه سيموت شهيدًا، والشهداء أحياء عند ربهم، فقد قُتل يحيى عليه السلام وقتل زكريا عليه السلام شهيدًا.

﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾

- اختلف المفسرون في معنى سميًّا على قولين :

- **القول الأول :** أنه لم يسمَّ أحد قبله باسم يحيى، فكان أول من سمي بهذا الاسم، تكريمًا وتمييزًا له، وقد رجحه كثير من العلماء.
- **القول الثاني :** أن المراد أنه لم يكن له مثيل في المنزلة والرفعة.

ويُشكل على هذا القول أن عددًا من الأنبياء السابقين، مثل إبراهيم، وموسى، هم أفضل من يحيى عليه السلام.

-ومثل ذلك قوله تعالى في سورة مريم: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ فهنا يصح المعنيان في حق الله سبحانه وتعالى :

أي: هل تعلم أحدًا تسمّى باسمه الخاص، كاسم الرحمن؟

أو: هل تعلم أحدًا يماثله أو يساميه في العظمة والمنزلة؟

الآية: 8 ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾

- يتعجب زكريا عليه السلام، ليس إنكارًا لقدرة الله سبحانه وتعالى على أن يرزقه غلامًا، يقول : يا رب، كيف سيحدث ذلك؟ أنا موقن بوعدك، وإنما أسأل عن الكيفية، فأنا كبير في السن، وامرأتي عاقر.

﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾

معنى العِتِيّ : قالوا: هو اليبس وشدة الكبر، وكأن الإنسان قد بلغ من العمر مبلغًا لم يعد فيه شيء من القوة أو الرطوبة التي تسمح بالإنجاب.

الآية: 9 ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾

- فكان الجواب: ﴿ كَذَٰلِكَ﴾ **أي لن يتغير شيء من حالكما، وسيكون الحمل مع ذلك كله.**

﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾

- من أرجى كلمات القرآن اجعلها شعارًا لك كلما واجهتك الصعوبات، وكلما قالت لك الأسباب : هذا مستحيل.

- قل لنفسك : كيف سيهديني الله؟ كيف سيصلح حالي؟كيف أنجح رغم ظروفي؟ قل: هو على الله هين.

- استعن بالله، ولا تعجز، وخذ بالأسباب، واجتهد، لكن لا تنظر إلى الأمر بقدرتك أنت، ولا بما تملكه من أسباب، وإنما انظر إلى قدرة الله سبحانه وتعالى. فإذا نظرت بهذا المنظار، رأيت أن كل شيء هين، فإن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم .

ثم أكد الله هذا المعنى بقوله: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾

- فإذا كان الله قد خلق الإنسان أول مرة من العدم، فإن خلقه من إنسان لا يعجزه سبحانه، فالأمر ليس بالأسباب، وإنما هو أمر الله إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن فيكون.

الآية: 10 ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾

- فلما أيقن زكريا عليه السلام أن الولد سيكون بقدرة الله، اشتاق إلى البشارة، فطلب علامةً يعلم بها أن الحمل قد وقع. ولم يكن سؤاله شكًّا، وإنما *شوقًا* إلى تحقق الوعد، وفرحًا بفضل الله.

فقال تعالى: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾

- العلامة أنك لن تستطيع كلام الناس ثلاثة أيام أو ثلاث ليالٍ متتابعات، من غير مرض ولا علة، مع أنك سليم معافى.

- قال العلماء : كان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يكلم الناس لم يستطع، أما ذكر الله وتسبيحه فكان قادرًا عليه.

- وفي ذلك رحمة به؛ إذ لم يُمنع من ذكر الله.

- فمن الشقاء أن يُحرم العبد من ذكر الله، أو من كثرة الذكر

الآية: 11 ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾

- فخرج زكريا على قومه من مصلاه ، وأشار إليهم بيده

الوحي : بمعنى الإشارة باليد، وقال لهم: سبحوا الله واذكروه،طرفي النهار ليشكروه على هذه النعمة، فقد فهم الناس أن العلامة قد وقعت، وأن المولود قادم، فقال لهم: هذا وقت شكر نعمة الله.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.